مشروع الذخيرة العربيّة في تصوّر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح

دة. صفية بن زينة وأ-د. نورالدين دريم
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

تاريخ الإيداع: 2018/04/23 تاريخ النشر: 2019/12/01

مقدمة:

تعد ثورة المعلوماتية و التكنولوجيا و ما تخطوه من خطى متسارعة في التطور والانتشار في العالم نقلة نوعية في زمننا هذا ، حيث أصبحت فيه التقنية بمثابة الأرضية الخصبة لمسيرة التعامل بين دول العالم ورفع مستواها وتقدمها و تنميتها لمسايرة التتابع الزمني ، و مواكبته مع تيسير الحصول على المعلومة ، كما تعتبر أيضا حلقة متقاربة للاتصال و التواصل ، فاختزلت بها كل المسافات ولم تثنها حدود المكان ، فكانت أن شملت مختلف مجالات التعامل العلمية والثقافية و الاقتصادية و السياسية .

لقد جاءت هذه الشبكات و الاختراعات التقنية المتطورة في العالم لتلبية متطلبات الشعوب مع إعطاء الصورة الحضارية لتقدم كل دولة و ارتقائها ، ومن ذلك التقدم والتسارع في عصر التكنولوجيا الذي يغطي العالم ، فإنّنا – أعني العرب - نقف عند التحدي الأكبر الذي يواجه أمتنا العربية ، وهو " أن تكون أمة منتجة للتكنولوجيا ، خاصة و أنه لدينا مصادر قوة يمكن أن تحقق قيمة مضافة إلى العالم في إنتاج ثقافي علمي متميز مع ضرورة التركيز على المضمون أكثر من الشكل ، فاستخدام المفردات التكنولوجية الحديثة في إطار العربية يعتبر دلالة على قوة هذه اللغة و ليس ضعفا ، و الدعوة إلى ضرورة تطويع تكنولوجيا المعلومات مع اللغة العربية "[1]. وبدأ العمل على ذلك ، فقد " حوسبت بعض الشركات الخاصة النص القرآني و الكتب الستة للحديث الشريف و حوسبت شركة في دبي عددا كبيرا من كتب الأدب العربي ، وأطلقت على هذه المجموعة الكبيرة اسم " الوراق" وقامت شركة أخرى في عمان و حوسبت أيضا جزءا من التراث ،و كل ذلك عمل طيب مفيد ،إلا أنه لا يمكن أن يستثمر كذخيرة أي كبنك آلي ،إذ لابد من إدماج كل النصوص في هذا البنك حتى يكون مثل النص الواحد يمكن أن يلقى أي سؤال على المجموع ،كما يمكن أن يتم ذلك على عصر معين أو مؤلف معين ، ومشروع الذخيرة الذي سنقدمه ههنا يمكنه أن يستجيب لكل ما يتصور من الأسئلة "[2] ، انطلاقا من هذا النص سنبني مقالنا على جملة من الأسئلة: ما المقصود بالذخيرة العربيّة عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح – رحمه الله تعالى -؟، وكيف كان تصوره لهذا المشروع ؟ وما الذي سيوفره هذا المشروع للباحث العربيّ مهما كان تخصصه ؟ هذه الأسئلة و أخرى سنحاول الإجابة عنها في هذه المداخلة الموسومة بـ " **مشروع الذخيرة العربيّة في تصوّر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح** ".

1- تحديد مفهوم الذخيرة العربيّة:

لا تعدّ قيمة تحديد المفاهيم من التقاليد الراسخة في مجال البحث العلمي فقط ، و إنما هي تهيئة أرضية معرفية يستند إليها الدارس حتّى يتمكن من تأطير رؤية منهجية تحكم تحليله و إجراءاته و أدواته ، فالتواصل المستنبط مضمون، مادامت المفاهيم و المصطلحات " عرفا خاصا "[3]، بين قوم مخصوصين ، و لا معنى لهذه الخصوصية ، ولا جدوى منها، إن لم يكن الدارسون داخل حقل معرفي معين على وعي تام بمفاهيمهم ومصطلحاتهم ، وأدواتهم .

و تعدّ الذخيرة العربية مصدرا معلوماتيا مهمّا ، يهدف إلى بناء قاعدة علمية معلوماتية ذاتية متطورة في ضوء الانفجار المعرفي المتواصل ، و هي تمثل اقتراحا حضاريا يسهم في تقدّم العلم ، ويرسم استراتجياته المستقبلية ، فإنها تعتبر – حقيقة - كإضافة علمية ؛ لأنها مشروع علمي حضاري لا ينظر إلى اللغة العربية وآدابها فقط ، ولا إلى العلوم اللسانية وحدها ، و إنّما إلى العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم و التكنولوجيا على حد سواء،ككلّ متكامل ، ذلك لأنّ اللغة هي الوسيلة بالنسبة للباحث في أي علم من العلوم أو معرفة من المعارف (= اللغة أداة للفكر) ، كما تعدّ عنصرا من العناصر التي تميز مشروع الذخيرة كونها تدخل في إطار تكامل المعارف و تضافر الاختصاصات ، و في إطار ثقافة المعلومات ، و علاقاتها بمنظومة المجتمع برمته ، في سبيل تحقيق الاتّصال والتواصل ، فاللغة إنّما هي"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[4].

فهي بهذا المفهوم ظاهرة اجتماعية ، لا تظهر إلا عند وجود جماعة ، و يرى دي سوسير " أنّ اللغة نظام من الرموز يدور أساسا حول الربط بين رمزين سيكولوجيين ، يعني المعاني و صورها "[5] ، و هي بهذا المفهوم مبنية على مبدأ رياضي كونها نظاما ، و النظام منطلقه رياضي.

و لمّا كانت اللغة بهذا التصور من حيث الوظيفة و الماهية ؛ فإنّها تبوّأت موقعا بارزا على خريطة المعرفة الإنسانية، و لها أيضا علاقة وطيدة مع الهندسة ، و ذلك من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي التي تساهم فيها اللسانيات الحاسوبية بقسط كبير ، خصوصا مع تطور الوسائل والأساليب ، فاستخدامها لم يقتصر على الكتب و المراجع و ما يصاحبها من إنشاء للمكتبات التقليدية ، و إنما أصبحت أهمية استخدام الحاسوب في تخزين المعلومات لما تنماز به من قدرة على تشكيل العقل ، و بلورة الرأي التي تعود على جميع العلوم الإنسانية بالخير والمنفعة ، كما تصبوا إلى توفير كل أسباب البحث العلمي ، و دمج المحيط الاجتماعي داخل الوسط الحضاري ، و يهتم في معظم هذه الاتجاهات باللغة العربية و إشكالات تعليمها لوضعها في المكانة اللائقة بها من خلال مشروع علمي حضاري يعرف بالذخيرة العربية .

حدّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تعريفه للذخيرة العربية بقوله ، إنّها " بنك آلي من النصوص و هي ليست مجرد مدونة أدخلت في ذاكرة الحاسوب ، بل مجموعة من النصوص أدمجت على الطريقة الحاسوبية

حتى يتمكن الحاسوب من دمجها كاملة أو جزئيا ، و لها عدد من البرامج الحاسوبية وضعت خصيصا لإلقاء أنواع خاصة و كثيرة من الأسئلة على الذخيرة "[9] ، فهي مجموع نصوص لا مجرد مفردات ، عولجت علاجا آليا بالحاسوب ، بحيث يتمكن الباحث فيها من تحصيل ما يريد سواء كان لغويا أو غير لغوي (ثقافة ، فكر ، تاريخ، علم اجتماع،...) ، و المقصود بالعلاج الآلي هو " أن يوضع له (بنك النصوص) ما يسمى بالقوام البرمجي وهو المجموعة من البرمجيات التي لابد منها لاستثمار الذخيرة (إلقاء أسئلة على الحاسوب) .و هذا القوام هو في الواقع نظام (نسق) لتسيير قواعد المعطيات التي هي نصوص بالنسبة للذخيرة ،وتجرى الآن بحوث مكثفة في الوطن العربي فيما يخص هذه البرمجيات و نذكر على سبيل المثال البحوث الحاسوبية الخاصة بتنظيم التخزين للمعلومات و هي أهمها ، و بحوث تخص حيازة النصوص (إدخالها في ذاكرة الحاسوب) بكيفية آلية (المسح الضوئي)أما فيما يخص الأسئلة التي تمسّ البنية اللغوية ،فقد أنجزت برمجيات ناجعة جدا في هذا الميدان كالاستخراج الآلي لأبنية الكلم و المواد الأصلية و غير ذلك "[6].

2- فكرة مشروع الذخيرة العربيّة :

كلّنا يعلم ما للندوات و المؤتمرات و الملتقيات من فوائد جمّة ، فكم من ندوة نتج عنها تأسيس نظرية أو نظريات ، هكذا خالجت الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح فكرة تأسيس مشروع الذخيرة اللغوية ، فحضوره الدائم للملتقيات التي عقدت حول اللغة العربيّة أو ما يتعلّق بها ، و الحوارات التي كانت تدور بينه و بين المشاركين في ما يخصّ حوسبة التراث العربي الإسلامي ، ولّد عنده الرغبة في تأسيس هذا المشروع الحضاري ، يقول متحدّثا عن ذلك " بدأ علماء العربية منذ عهد قريب جدا يتحدثون عن ضرورة الحوسبة للتراث العربي الإسلامي و عن منافع هذا العمل ،و سمعنا مثل ذلك في بعض الندوات العلمية في الآونة الأخيرة ،وقد سررنا بما سمعناه أيما سرور على الرغم من قلة اهتمام الكثير من العلماء بذلك ، وعدم التفات السلطات المسؤولة إلى أهميته القصوى ، و قلنا للإخوة آنذاك أن ذلك يحتاج فيه أن تتضافر الجهود لضخامة العمل .فلا يمكن أن يتم إنجاز مثل هذا العمل إلا على شكل مشروع كبير يُشرف عليه في أعلى مستوى ، و اقترح مثل ذلك فيما يسمى بـ " الذخيرة العربية المحوسبة "[7].

لقد نشأ هذا المشروع من فكرة الاستعانة بالكمبيوتر (الحاسوب) واستغلال سرعته الهائلة في علاج المعطيات ، و قدرته العجيبة في تخزين الملايين منها في ذاكرته ، لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحتوي على أهم ما حرر بالعربية مما سينتجه على مرّ السنين ، و هذا البنك الآلي هو تحت تصرف أي باحث في أي مكان في العالم فيمكنه أن يسأل الحاسوب عما يشاء من المعلومات فيجيبه بسرعة الضوء ، خصوصا إذا كان الباحث لاسيما اللغوي ، قد يقضي الشهور بل السنين في قراءة الأسفار من الكتب حتى يعثر على بغيته[8].

كان للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح الفضل و الشرف في عرض هذا المشروع أثناء انعقاد مؤتمر التعريب بعمان سنة 1986م ، و حاول إقناع زملائه الباحثين بأهمية " الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة

العربيّة واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية ، و إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع "[9]، لأنّ مثل هذه المشاريع تتجاوز قدرة المؤسسة الواحدة بل حتّى البلد الواحد ، ثمّ عرضت الجزائر هذا المشروع على المجلس التنفيذي للمنظمة العربيّة و الثقافة و العلوم في ديسمبر 1988م ، فوافقت عليه في حدود إمكانياتها ، ثمّ راسلت هذه المنظّمة المؤسسات العلمية العربيّة (الجامعات، مراكز البحث، المجامع اللغوية)، والجهات الرسمية المعنية (وزارة التربية ، وزارة التعليم العالي) ، تطلب استشارتها في هذا المشروع (جدواه ، طرق تنفيذه) ، فكانت إجاباتها بالإجماع على أهمية المشروع ، و ضرورة الإسراع في إنجازه.

على إثر ذلك عقدت الندوة الأولى في الجزائر سنة 1991م ، بالاتّفاق مع المنظمة السابقة من أجل دراسة المشروع و اتّخاذ القرارات اللازمة ، ساهم فيها خبراء و مسؤولون من المؤسسات العربيّة ، و توّجت الندوة بجملة من التوصيات أهمّها : تنظيم العمل على مستوى المشروع ، المشاركة العربية المتبادلة ، إنشاء لجان هدفها متابعة المشروع ، ثمّ عقدت الندوة الثانية بدمشق 1995 بحضور المؤسسات الراغبة في إنجاز هذا المشروع.

تبنى المجمع الجزائري للغة العربية مشروع الذخيرة اللغوية العربيّة ، فنظّم بالاشتراك مع جامعة الجزائر ندوة تأسيسية في السادس و العشرين و السابع و العشرين من ديسمبر من سنة 2001 ، بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية ، جمعت تسع دول عربيّة ، و خرجت الندوة بتوصيات و قرارات هامة ، وأنشأت لجنة دولية دائمة للمتابعة و التخطيط و التنسيق[10] .

شرعت بعض المؤسسات العربية في تخزين بعض النصوص العربية التراثية و المعلومات العلمية و الثقافية ، لأنّ هذا المشروع جماعي تتعاضد على إنجازه مؤسسات علمية عديدة مثل : المجامع اللغوية و المنظمات الثقافية والتربوية، كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب ، والحكومات العربية، فهو " مشروع جدير بأن يشرف عليه لا مركز واحد و لا بلد واحد بل البلدان العربية كلها ، و في أعلى مستوى مادام هناك إجماع على أهميته القصوى ، وذلك برفعه للمستوى الثقافي العربي إلى ما يقارب مستوى الغربيين "[11] ؛لأنّ اللغات البشرية شهدت معالجتها آليا في القرن الماضي ، و تشهد في القرن الحالي تقدّما ملحوظا ، إن على مستوى المنهج أو التقنية ، كما أنّها لم تغفل الجانب التطبيقي و أسهمت فيه بشكل يدعو إلى التفاؤل من خلال التنوع الذي مسّ هذا الجانب، وأمّا المعالجة الآلية للغة العربيّة فإنّها " تستوجب استنفار الهمم من اللغويين والحاسوبيين، و ذلك بأنّ التمثيل الحاسوبي للغة العربيّة عليه أن يستوعب الخصائص اللغوية لنظامها ، بما يتّسم به من تداخل بين مستوياته و اقتصاد في وحداته اللغوية ، و ثراء في البدائل الممكنة للتعبير عن الشيء الواحد و توصيف ذلك كلّه على نحو يوافق المبادئ الرياضية التي ينبني عليها الحاسوب "[12].

وما نخلص إليه من هذا العرض هو: إنّ الذخيرة اللغوية العربية بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر)، و أهم صفة تتصف بها هي سهولة حصول الباحث على ما يريده ، و سرعته ثمّ شمولية المعلومات التي يمكن أن يحصل عليها ، بالإضافة إلى اشتمالها على الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة عبر

العصور و عبر البلدان العربية المختلفة ؛ لأنّ " الهدف الرئيسي للذخيرة هو أن يمكن الباحث أيًّا كان و أينما وجد من العثور على معلومات شتى من واقع استعمال العربية بكيفية آلية و في وقت وجيز، و هذا سيتحقق بإنجاز بنك آلي للغة العربية المستعملة بالفعل ؛ يتضمن أمهات الكتب التراثية الأدبية و العلمية و التقنية و غيرها ، و على الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهم صوره ، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات و المحاورات العفوية و على هذا فهو بنك نصوص لا بنك مفردات "[13].

و الميزة الأساسية التي تمتاز به الذخيرة كبنك آلي، هي أنها مفتوحة وقابلة للإضافة لأي معلومة جديدة ، ويدخل فيها أيّ كتاب جديد هام أو أي كتاب يعثر عليه في التراث ، كما أنها قابلة لأي تصليح في أي وقت كان ويمكن أن تضاف إليه كل الزيادات الممكنة ، و أن تدخل فيه كل النصوص ذات الأهمية على الدوام و من دون انقطاع .

3- أهداف مشروع الذخيرة اللغوية العربيّة في نظر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح :

1- الذخيرة العربيّة بنك معلومات آلي : يرمي مشروع الذخيرة العربيّة في المقام الأول إلى إنجاز بنك آلي من النصوص العربية قديمها و حديثها يتضمن كل ما هو علمي أو فكري أو ثقافي، على موقع من الأنترنيت ، و هذا ما نادى به الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح ، إذ يقول " الذخيرة كبنك معلومات آلي ...هدفه أن يمكّن الباحث العربيّ أيّا كان و أينما كان من العثور على معلومات شتّى من واقع استعمال العربيّة بكيفية آلية و في وقت وجيز ، و هذا سيتحقق بإنجاز بنك آلي للغة العربيّة المستعمل بالفعل ، يتضمّن أمهات الكتب التراثية الأدبية و العلمية والتقنية و غيرها ، و على الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهم صوره بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتّى الميادين "[14] ، فهو بنك يضمّ نصوصا عربيّة فصيحة ، سواء كانت محرّرة (مكتوبة) أو منطوقة ، لا مجرد مفرداتٍ ، ثمّ أشار الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح إلى أمر مهمّ يتعلق باستعمال اللغة و زمنه ، يقول " و أهمّ شيء في ذلك هو أن يكون هذا الاستعمال الذي سيخزّن بشكل النص ، كما ورد في ذاكرة الحواسيب هو استعمال العربية طوال خمسة عشر قرنا في أروع صوره ، ثمّ هو يغطي الوطن العربيّ أجمعه في خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكري "[15].

يمكن القول إنّ هذا البنك النصي الآلي يتشكّل من جانبين و كلاهما مهّم بدرجة لا تقل لأحدهما عن الآخر ، **الأول**: هو الجانب اللغوي، لأنّه يتضمن ديوان العرب ، وفيه الاستعمال الحقيقي للعربية ، قديما وحديثا من خلال ملايين النصوص الأدبية و العلمية و التقنية، و غيرها ، و هو ما يصطلح عليه حديثا بقاعدة المعطيات اللغوية[16]، **و الثاني:** هو الجانب الثقافي ؛ لأنّه يتضمن كل ما هو علمي و تربوي ففيه النصوص المتنوّعة أصلية أو مترجمة ، و التي لها علاقة بمختلف الميادين : العلمية و التقنية و التاريخية و الاجتماعية ، و يضمّ أيضا الطرائق التعليمية التي تهدف إلى تحصيل مهارة معيّنة كتعليم العربيّة مثلا بحسب تدرّج الفئات العمرية ...و لهذا " ستدخل في الذخيرة اللغوية العربيّة أنواع كثيرة من النصوص : منها الموسوعات العلمية و التقنية العربيّة أو

المعرّبة (مع النص الأجنبي الأصلي) ، و طرائق لتعليم العربيّة ، و مختلف الطرائق لتعليم تقنيات معيّنة بمستويات متنوّعة "[17].

ذكر الدكتور الحاج صالح في تصوره هذا (الذخيرة كبنك معلومات آلي)، أنّ الذخيرة اللغوية العربية ، تتميّز عن غيرها من الذخائر المنجزة في زماننا الحاضر (الذخيرة الفرنسية مثلا)، و الذي يميّزها " هو في وجود هذا البنك الآلي للنصوص العربيّة السابق الذكر ، و كونه بنكا مفتوحا غير مغلق بل قابل للزيادة و التصليح ، وسيكون على هذا ، و بفضل الشبكة الاتّصالية الدولية الأنترنيت ،تحت تصرف أي باحث في العالم و في أي وقت أراد "[18] ، فخاصية الفتح التي يمتاز بها هذا البنك الآلي تتيح لنا إضافة كل زيادة ممكنة ، و إدخال أي نصوص مهمّة باستمرار ، و من دون انقطاع ، و سرعة الاطّلاع عليها في أي زمن ، و في أي مكان.

2- الذخيرة مصدر لمختلف المعاجم و الدراسات : ذكر الدكتور الحاج صالح جملة من المعاجم التي يمكن أن تستخرج من هذا البنك - و الذي يسميه المهندسون بقاعدة المعطيات النصيّة - ، نذكر منها[19]:

- المعجم الآلي الجامع لألفاظ اللغة العربيّة المستعملة : و يضم جميع المفردات العربيّة التي وردت في النصوص المخزّنة قديمها و حديثها ، مع تحديد معانيها المستخرجة من السياقات التي وردت فيها، بالإضافة إلى تحديدات العلماء في هذا الشأن .

- المعجم الآلي للمصطلحات الآلية و التقنية المستعملة بالفعل : يضم المصطلحات المستعملة و لو في بلد واحد أو جهة معيّنة ؛ لأنّها قد وردت في نص واحد على الأقل ، مع ذكر مقابلها بالفرنسية أو الإنجليزية ، و يشار إلى تلك المصطلحات التي لم تستعمل ووردت في معجم حديث ، و يذكر مصدرها ، و ينبغي أن يقسّم المعجم العام إلى معاجم متخصّصة ، بحسب فنون المعرفة ، و مجالات المفاهيم .

ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ، أنّ " كل واحد من هذين المعجمين ، آلي مثل الذخيرة في شكلها الأول ، و معنى ذلك أنّه يقوم على ركيزة متّصلة بالحواسيب في أحدث صورها مثل الأقراص البصرية أو المغناطيسية التي يمكن أن تحتوي على ملايير النصوص، كما يمكن أن ينشر كل منهما و كذا المعاجم المتخصصة على الشكل التقليدي "[20].

- المعجم التاريخي للغة العربيّة ، و لا يمكن " أن يوضع معجم تاريخي للغة العربية إلا بالاعتماد على مدوّنة نصيّة تغطي كل العصور و كل البلدان العربيّة ، فكيف يمكن أن نضمن شموليته ما يقرره الباحث من التحولات الدلالية، إن لم يعتمد على عدد هائل من القرائن و السياقات تنتمي إلى كل عصر "[21] ؛ أي تتبع الكلمات و مدلولاتها وما يطرأ عليها من تغيّر في كل زمان و كل مكان (التغير الدلالي).

- معجم الألفاظ الحضارية : سواء ما كان قديما منها أو حديثا .

- معجم الأعلام الجغرافية .

- معجم الألفاظ الدخيلة و المعرّبة .

- معجم الألفاظ المتجانسة و المترادفة و المشتركة و الأضداد ، و غير ذلك من المعاجم المفيدة .

و ينبّه الدكتور الحاج صالح في هذا الشأن ، على أن تكون ألفاظ هذا المعاجم مأخوذة من الاستعمال الحقيقي للغة قديما ، أو حديثا ، و ألا تؤخذ من القواميس الموجودة[22] ؛ لأنّها قد لا تمثّل في الغالب الاستعمال الحقيقي للغة ، و لا يمكن لها أن تحتوي جميع النصوص التي وردت فيها كل الألفاظ المراد جمعها ، وعليه فالذخيرة بنك للنصوص الآلية يمثلّ " المصدر الأساسي لإنجاز المعجم الجامع للغة العربيّة الذي سيحرره العلماء و خاصة أعضاء المجامع العربيّة، و إنجاز العدد الكبير جدّا، زيادة على ذلك من الدراسات و البحوث في اللغة العربيّة "[23] .

4- فوائد الذخيرة أو ماذا سيترتب عن إنجاز الذخيرة اللغوية العربيّة :

لا يخالج – منصف سيطّلع على الذخيرة بعد إنجازها – شكّ في أنّ لها فوائد عظيمة وجليلة ، و قد حصر الدكتور الحاج صالح جملة من فوائدها ، نذكر منها[24] :

- إنّها تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة من أقدم العصور حتى العصر الحاضر، و لا تقتصر في ذلك على المعاجم فحسب و إنما تشمل كل النصوص ذات الأهمية، فيها المحرّرة (المكتوبة) منها و المنطوقة الفصيحة في الآداب و الحضارة و الدين و العلوم و الثقافة العامة و الفنون و كذا الحياة اليومية .

- تعد بمثابة فهرسة آلية كبيرة شاملة لكل ما أنتجه الفكر العربي مع اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صورها تمكن الباحث من سرعة العثور فيها على ما يطلبه ، أضف إلى ذلك أنها تستطيع الإجابة عن مختلف الأسئلة في بضع ثوان ، كما يمكن أن تعرف بالضبط المعاني المقصودة من سياقات الكلمات عبر العصور ، وتعتبر الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص و غيرها من العمليات العلاجية المفيدة بعرضها على الشاشة و إمكانية طبعها بالطابعات الآلية في وقت وجيز والحصول عليها في وقت قصير و ذلك بفضل شبكة الأنترنيت ، فهل يمكن لباحث ما أن يبحث عن مفردة أو صيغة أو بنية تركيبية أو عبارة جامدة أو شيء يخصّ اللغة في نص واحد أو عدّة نصوص مفهرسة كانت أو غير مفهرسة؟ قد يفني عمره و لا يتأتى له ذلك ، ولكنّه يتمكن من ذلك و في سرعة فائقة عن طريق ذخيرة آلية .

- من الفوائد الملموسة التي يمكن أن نستفيدها من الذخيرة الآلية هي إقامة الدراسات العلمية المقارنة في مختلف الميادين حول مجموعة معينة من المفاهيم العلمية ، و البحث المنتظم عن تطور الفكر العلمي العربي

بالاعتماد على تطور دلالات الألفاظ العلمية داخل حقول دلالية عبر الزمان ، مع إمكانية وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل ، تخصص لكل مدخل دراسة لغوية دقيقة ،و غير ذلك من الفوائد .

- أما الدراسات التي يمكن القيام بها انطلاقا من مشروع الذخيرة و بتسليط الضوء على محتواها فيمكن أن تخص اللغة العربية بعينها ؛ لأن الذخيرة بمثابة ما دوّن من كلام العرب في عهد اللغويين العرب القدامى ، فقد قاموا بجمع العدد الضخم من النصوص النثرية و الشعرية ، و أمثال العرب و كلامهم العفوي ، بالإضافة إلى النص القرآني وانطلقوا من هذه المدونة اللغوية العظيمة لاستنباط قوانين العربية و أوصافها من الاستعمال الحقيقي لها ، كما استخرجوا منه المعجم العربي ،" و على هذا فإن أنواع الدراسات اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كبيرة جدا مثل تطور معاني الكلمات عبر العصور ، و دراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد ، و دراسة تردد المواد الأصلية أو أوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب ، و دراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات ، ودراسة أساليب الكتّاب في كل عصر ، و دراسة اتّساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا ، و دراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية) ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة ودراسة المترادف و المشترك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معين ، ودراسة الغريب و الشّاذ إفرادا و تركيبا كما و كيفا و بالنسبة إلى كل مؤلف أو نص و كل عنصر و دراسة صيغ الجمل و ظواهر الفصل و الوصل في الخطاب ودراسات في المجاز و الاستعارة و الكناية ، و غيرها من الصور البيانية و دراسة تطور كل هذا ، و غير ذلك مما يخص اللغة كلغة قديما وحديثا ، و لكن مزية الاستفاضة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة و آليتها يسهّل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعبيري والاتصالي ، و من ثَمّ الفكري المعيش للأمة العربية القديم و الحديث "[25] أما إذا تعلّق الأمر بالميادين الأخرى غير اللغوية ، كالدراسات التاريخية وبالخصوص تاريخ الحضارة العربية و الفكر العربي العلمي و الديني ، و كذلك دراسات علم الاجتماع و علم النفس الاجتماعي، فإنّ دراساتها تتأتى " بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة (من خلال استعمال الألفاظ و الأساليب و غيرها) في كل قطر أو إقليم عبر العصور و دراسة تفاعلها ومدى تأثيرها و تأثرها ، و ما ترتّب على ذلك بالبناء جزئيا على العناصر اللغوية ذات الدلالة ، و معرفة مدى اتّساع رقعتها و معرفة ترددها في الخطابات الرسمية و غير ذلك ، و كذا الدراسات الاقتصادية و العمرانية و الحضارية من خلال استعمال الناس للغة "[26]، فالدراسات لغوية كانت أو غير لغوية التي تتّخذ من الذخيرة أرضية معرفية ، منطلقها الاستعمال الحقيقي للغة في أوساط الناطقين بها سواء كان قديما (ما جاء في كتب التراث) ، أو حديثا ، المنطوق منها و المكتوب (النتاج المعرفي و الفكري و اللغوي للباحثين).

- يعدّ بنك النصوص الآلي كمنبع موضوعي و موثق للمعاجم العربيّة و الدراسات اللغوية : لا يمكن لأي باحث في اللغة أن يستغني عن الذخيرة اللغوية المحوسبة في دراساته مهما كان نوعها ؛ لأنّها ستمكّنه من العديد من الأمور : أهمّها الرصد الدقيق و الشامل سواء لاستعمال العربيّة في إقليم خاص في عصر من العصور ، أو لمصطلحات ميدان فنيّ معيّن، و كذا إمكانية تصفّح معاني الكلمات في مختلف سياقاتها عبر الزمن ، وتحديد تاريخ ظهور بعض

الكلمات الفصيحة المولّدة ، و تحليل لغة كاتب أو شاعر أو خطيب و إحصاء مفرداته آليا ...و هذا يمكّن أهل الصناعة المعجمية من وضع أنواع متعددة و متنوّعة من المعاجم.

مع كلّ ما يمكن أن تقدّمه الذخيرة اللغوية العربيّة – إن أنجزت – من فوائد جمّة ، فلا " ينبغي أن يعتقد الباحث اللغوي أنّ هذه الذخيرة ستلغى بها الأعمال العظيمة التي ينجزها العلماء ، معاذ الله أن نعتقد مثل هذا ، فالذخيرة هي هذه الأعمال نفسها و ليس فيها إلاّ ما يحرّره العلماء ، فالجديد فيها كما قلنا ، فقط اللجوء إلى الوسائل الآلية الجبارة ، و استغلالها كما تستغل حاليا في جميع الميادين التي نعالج فيها المعلومات "[27] ، فهذا اعتراف من الدكتور بجهود كل باحث في المساهمة في هذا المشروع الحضاري مهما كان تخصصه ، و دعوة منه لاستخدام و استثمار الوسائل الآلية في البحوث و الدراسات اللغوية و غير اللغوية .

5- وظائف الذخيرة الأساسية في نظر الدكتور الحاج صالح:

تقدّم آنفا الفوائد التي يمكن أن نجنيها من الذخيرة اللغوية العربيّة - إن أنجزت و عولجت آليا – و بناء على هذه الفوائد ما الذي يمكن أن نقوم به من وظيفة؟ و بعبارة أوضح : كيف يمكن أن تستثمر الذخيرة وتوظف عمليا ؟

لمّا التزم الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بالتركيز على أهم صفة للذخيرة في التأسيس لها ، و هي صفة الحيوية التي تستمدها من الاستعمال الحقيقي للغة ، ثمّ الصفة الآلية لمباشرتها و التفاعل معها، اقترح جملة من الوظائف التي ستقوم بها الذخيرة أو أحد معاجمها ، نذكر منها الآتي[28]:

- تحصيل معلومات تخص الكلمة العربيّة عادية كانت أو مصطلحا: و يمكن للباحث في هذا الشأن أن يطرح مجموعة من الأسئلة: مثل هل توجد كلمة (س) في الاستعمال (المكتوب أو المنطوق و كلاهما) ؟ وأين ظهرت ؟ و بأي معنى في كل واحد من مصادر وجودها و ما هي السياقات التي وردت فيها ، و بالنسبة لكل كتاب أو نص أو بالنسبة لكل عصر أو كل بلد ؟ و هذه الأسئلة نفسها التي يمكن طرحها إذا أردنا البحث في الكلمة (س) قديما ... ما هو المجال المفهومي الذي تنتمي إليه (س) و هل لها مرادفات و ما هي ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يمكن أن تجول بذهن الباحث .

- تحصيل معلومات تخص الجذور و صيغ الكلم : و هنا يمكن للباحث أن يطرح أسئلة من هذا النوع : هل وردت المواد الأصلية أ ب ج د ... في الاستعمال عند مؤلف أو متكلم خاصة ، و ما هي الكلم التي صيغت عليها و استعملها هذا المؤلف ؟ و السؤال نفسه بالنسبة للصيغ أَ بَ جَ دَ ...، اذكر جميع الصيغ التي صيغت على صيغة أ ، أو ب ، أو ج ، أو د مع الإشارة إلى مدلول كل واحد من هذه الكلم كصيغة فُعلَة ، فَعَالية وغيرها من الصيغ ؟...إلخ .

- تحصيل معلومات تخصّ أجناس الكلم : و يمكن للباحث أن يطرح أسئلة من هذا النوع : ما هي أسماء الأعلام أو المصادر أو الأفعال الثلاثية أو الرباعية المجرّدة أو المزيدة و غيرها ، و الصفات الخاصة بمجال مفهومي (الألوان و العيوب أو الحلية) ، و غير ذلك من أجناس الكلم الواردة في نص معيّن أو عدّة نصوص و عبر الزمان ، و ما هو تردد كل واحد منها بالنسبة إلى نص واحد أو بالنسبة إلى عدّة نصوص ؟ و ما هي سياقاتها ؟.

- تحصيل معلومات تخصّ حروف المعاني : يمكن للباحث أن يطرح نفس الأسئلة السابقة ، مع إحصاء نسبة ترددها بالنسبة إلى نص واحد ، أو بالنسبة إلى عدّة نصوص .

- تحصيل معلومات تخص المعرّب الذي ورد في الاستعمال : يمكن للباحث أن يطرح أسئلة عن قائمة المعربات وميادينها التي وردت في عصر معيّن أو عند مؤلف معيّن أو عبر العصور أو عند عدّة مؤلفين.

- تحصيل معلومات تخصّ صيغ الجمل و الأساليب الحيّة و الجامدة منها : الأسئلة نفسها يمكن أن يطرحها الباحث.

- تحصيل معلومات تخصّ المفهوم الحضاري أو العلمي (البحث عن ألفاظ عربيّة لتغطية المفاهيم العلمية) وللباحث أن يطرح هذا النوع من الأسئلة : هل توجد كلمة عربيّة للدلالة على مفهوم معيّن (خاص بالطب أو البيطرة أو الهندسة المعمارية أو غير ذلك) المعبّر عنه باللغتين الفرنسية أو الإنجليزية بكذا ، و ذلك في الإنتاج العلمي العربي المعاصر ، و هل يوجد هذا المفهوم و ما يقاربه في نص قديم معيّن (كتاب من كتب ابن سينا أو ابن الهيثم) ، ما هي الألفاظ العربيّة التي كانت تدلّ عند القدامى على مفاهيم ربما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية (مثل الحركة و السكون في الصوتيات العربيّة) ...

6- كيفية إنجاز الذخيرة اللغوية العربية في نظر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح :

بعد أن حدّد الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مفهوم الذخيرة اللغوية ، تحديدا دقيقا ، و بيّن الأهداف العلمية التي رسمها لهذا المشروع ، و بيّن أيضا وظائفها و الفوائد العلمية التي سيحصل عليها كل مستثمر مهما كانت غايته (معرفية أو تجارية) ، اقترح منهجا رسم فيه خطة عمل لإنجاز هذا المشروع ، و هذه معالمه الأساسية[29]:

1- الكيفية المثلى : توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسسات مع التنسيق و المتابعة : يتطلب إنجاز مشروع الذخيرة جهودا ضخمة و تكلفة باهظة ؛ لأنّه مشروع جبّار ، فلا يمكن للمؤسسة أو منظمة في العالم أن تتبنى إنجازه ، فكان الحل الأنسب الذي طرح في الندوة التأسيسية له في الجزائر ، هو " إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية العربيّة في إنجاز المشروع على أساس التمويل الذاتي "[30] ، و معنى هذا على كل مؤسسة علمية

(جامعات مراكز بحث ، شركات ذات نشاط علمي و تقني و تطبيقي) رغبت في المشاركة في إنجاز جزء من هذا المشروع أن تتكفل به هي ، وذلك بتخصيص ميزانة له في كل سنة حتّى ينتهي العمل.

2- كيفية توزيع العمل و تنظيمه و تنسيقه : و يكون ذلك بـ:

- تكوين الفِرَق و إعداد التجهيز اللازم : أي توفير الوسائل البشرية و المادية .

حيث يتمّ في هذه المرحلة إنشاء فريق من الممارسين و الاختصاصيين ، و يتفرغون بدورهم لهذا المشروع ، يتراوح عددهم من خمسة إلى عشرة ، مهمّتهم إدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب(تفريغ كل الكتب والدراسات و الخطابات و غيرها في الأقراص الذاكرية) ، و يكون ذلك بإشراف مهندس أو تقني في الحاسوبيات ، و دكتور في اللغة العربيّة ضالع متمكن منها .(جانب تقني و آخر لغوي).

- اقتناء مجموعة أجهزة : و منها الحواسيب (من خمسة إلى عشرة) ، الأقراص (الركائز الذاكرية المنقولة) بعدد كافٍ ، آلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير) ...

- توزيع الحصص : و يرتبط هذا بكل مؤسسة ، فلها الحق في اختيار المعطيات التي تريد أن تخزّنها ، و لها الحق أن تختار أيضا : دراسات و أبحاث و كتب أساتذتها ، و أماليهم ، فتستثمرها و تعالجها كمعطيات علمية يستفاد منها ، و هذا الأمر يشكّل حافزا للعمل التخزيني ، و قد اقترح الدكتور في هذا الصدد ما يلي " تتكفل كل مؤسسة تشارك في إنجاز المشروع بتخزين عدد من الكتب التراثية تقترحها اللجنة الدولية للمشروع من بين المؤلفات التراثية التي تعالج موضوعات لها علاقة باختصاص المؤسسة على قدر الإمكان ، و ذلك لمدّة خمس سنوات وعلى هذا الأساس ستقترح مخططا عاما يشتمل على قائمة عامة للكتب التراثية، و المعاجم اللغوية ، و الاصطلاحية وغيرها من الوثائق ممّا ينبغي أن يخزن في ذاكرة الحاسوب "[31].

- تنظيم العمل و تخطيطه و تنسيقه : ويكون ذلك بإنشاء لجنة محلية دائمة في كل دولة من الدول العربيّة التي تتواجد فيها مؤسسات علمية مشاركة في المشروع ، تتكون من ممثل واحد لكل مؤسسة للجنة لمدة خمس سنوات مهمّتها المتابعة العلمية و الفنية للعمل، والتنسيق بين المؤسسات المشاركة، و السهر على استمرارية العمل و نوعيته ويكون ذلك بتبادل الخبرات و الآراء ، و اقتراح الحلول للمشاكل الطارئة خاصة ما تعلّق بالجانب التقني ، وعقد اجتماعات سنوية تقييمية .

برمجة العمل : و تكون بحصر ما أدخل في الأنترنت في ما تعلّق بالتراث ، و تفادي تكراره و ذلك بالتنسيق مع الجهات التي عملت على هذا الأمر ، فعلى سبيل المثال : قد قامت شركة صخر العالمية بإدخال بعض كتب التراث ، زيادة على القرآن الكريم و الحديث الشريف ، في ذاكرة الحاسوب و بعده في الأنترنيت ، و عليه يجب حصر

عناوين كل هذه الكتب المخزّنة أو النصوص الشعرية و النثرية و بعثها في قوائم إلى كل المؤسسات المشاركة في المشروع عبر الوطن العربيّ لتفادي تكرار تخزينها.

و في هذا الشأن تقوم اللجنة الدولية ببرمجة التراث (المطبوع المحقّق) و توزيعه على المشاركين ، فضلا عن التراث المحوسب وفق مقاييس ثلاثة : أوّلها : تقسيمه إلى عصور قصيرة (من 30 إلى 50)، ثانيها : تقسيمه في داخل كل عصر إلى بلدان ، و ثالثها : تقسيمه في داخل كل بلد ، و كل عصر إلى ميادين عامة ثمّ خاصة .

أمّا فيما يخص الإنتاج المعاصر (العلمي و الأدبي و الفني و التقني) ، فيتكفل كل مشاركة بحيازة إنتاجه الخاص ، و يمكن أن يضيف إلى ذلك إنتاج الفيديو بشرط الحصول على إذن صاحبه مكتوبا .

و أمّا ما تكتبه الصحافة من الأخبار و المقالات و ما يذاع و ما يسجّل ، فتكوّن لجنة فرعية داخل اللجنة القطرية تضم ممثلي من وسائل الإعلام ، تتكفل باختيار عينة كبيرة من هذا الكلام المنشور أو المذاع الفصيح في كل شهر أو شهرين ، يفصل بين الفصيح و المختلط بغير الفصيح ، و توزع هذه النصوص إلى ميادين دقيقة.

- فيما يخصّ تدرج العمل و المتابعة قررت الندوة تحديد المرحلة الأولى للعمل المشترك لمدة خمس سنوات ، و أمّا المتابعة و التقييم فهي على مستويين : القطري و الدولي حسب ما يقتضيه التنظيم المتفق عليه ، و بالنسبة للمقاييس التي سوف يعتمد عليها عمل المتابعة و التقييم فهي : ألاّ يدخل في الأنترنيت إلا النصوص المصحّحة على يد اللغويين الذين يتواجدون في كل فريق ، و أن يتمّ مراقبة مدى احترام كل فريق بالمبادئ العلمية للحيازة ، و إثبات مقاييس التعرف على النص أو مصدره (المؤلف و عصره و إقليمه و ميدان النص ...) ، و أن تراقب كمية النصوص التي أخذت كل مؤسسة أن تتكفل بحيازتها كل ستة أشهر .

7- المعالجة الآلية للنصوص العربيّة :

تقدّم في الحديث عن الذخيرة اللغوية العربيّة ، أنّ الأساس فيها هو تمثيل الاستعمال الحقيقي للغة انطلاقا من النصوص المكتوبة و المنطوقة (قديما أو حديثا) ، و لمّا كان العلاج الآلي يمسّ النصوص (كل ما أنتجه الفكر العربي في الآداب و العلوم و غير ذلك) ، فهو بالضرورة يمسّ استعمال اللغة ، و هذا الأخير يكون بين الناطقين بها في خطابتهم التي يفرض فيها وجود مرسِل و مرسل إليه ، والغاية من الخطاب هي الإفادة ، و هذه الإفادة متوقّفة على المعاني التي تؤديها ألفاظ اللغة .

لقد " تبيّن أنّ اللغة ظاهرة متعددة العناصر، متشابكة النظم، متغيّرة بتغيّر الأزمان وبتنوع البيئات، والمستويات اللغوية و ابن اللغة في استخدامه لها فهما و إفهاما ، إنّما يعتمد على ما اختزن في عقله من معارف ومسلمات ، يشترك مع أبناء اللغة في الحدّ الأدنى منها الذي تقوم به عملية الاتّصال اللغوي ، و قدّ مثّلت هذه الخصائص تحديّا كبيرا أمام معالجتها آليا "[32] ؛ لأنّ العقل البشري يختلف عن العقل الاصطناعي، وبالتالي

فمعالجة كل واحد منهما للغة تختلف عن معالجة الآخر لها ، " فالحواسيب تعمل على أساس مشابه للعمل الذي يؤديه العقل الإنساني ، و لكن لا يستطيع أحد أن يقول إنّ العمل هنا مطابق للعمل هناك "[33].

إنّ تعامل الحاسوب مع اللغة إنتاجا (ما يُختزن في ذاكرته) و تحليلا ، ليس كتعامل العقل البشري معها على مستوى هذين النمطين ، فالعقل البشري ركيزته الرصيد المعرفي و المنطقي في إبداع اللغة و فهمها (= العقل يخزّن ، يحلل ثمّ يستنبط) فتصبح اللغة بهذه الآلية (الخصيصة) طيّعة بين الناطقين بها إنتاجا و فهما، و أمّا الحاسوب فهو يفتقد إلى ذاك الرصيد المعرفي و المنطقي المخزّن في العقل البشري ، و لذلك فأول ما يجب على علماء اللغة الحاسبين ، هو استقراء الظواهر اللغوية المختلفة ؛ لضبط قوانينها التي تحكم أصولها و فروعها ، و من ثَمّ صياغتها على نحو يوافق المنطلقات الرياضية التي ينبني عليها الحاسوب ، " كما أنّ علماء الحاسوب اللغويين عليهم أن يبنوا النماذج الرياضية التي يمكن أن تحاكي سلوك العقل البشري في تعامله مع اللغة ، و تستوعب النظام اللغوي على ضخامته و تناميه ، كل ذلك جعل من المعالجة الآلية مغامرة ، يبرر خوضها و مواصلة السير في دروبها أهمية الأهداف المرجوّة من تحقيقها "[34].

وقد حاول " العلماء و الاختصاصيون في العلاج الآلي للغات الطبيعية أن يجدوا أحسن الطرق وأخصرها للوصول إلى صيغ و أنماط رياضية لغوية تمكنهم من استعمال الرتّاب (الحاسب الإلكتروني) لمعالجة النصوص اللغوية بكيفية آلية، و ميادين التطبيق بالنسبة لهذه المعالجة كثيرة و مشهورة ، كالتوثيق الآلي و الترجمة الآلية وتعليم اللغات بالرتّاب ،و التركيب الآلي للكلام و التعرف الآلي على الكلام إلخ ، إلا أن المشاكل التي تعترض طريقهم كثيرة و عويصة ،و ذلك على قدر استعصاء التحليل اللغوي من جهة ، و صعوبة إيجاد الأنماط و البرانيم أو البرمجيات(Logiciels) المناسبة لهذا التحليل اللغوي "[35] ، و في هذا التحليل يجب الالتزام بالتمييز الحاسم بين اللفظ و المعنى.و لمّا كان الأمر على هذا النحو ، فإنّ أكبر عائق يعترض معالجة النصوص آليا هو " المعنى " ؛ لأنّ

المعنى اللغوي كل لا يتجزّأ على مستوى الاستعمال الحقيقي للغة ، لذلك فإنّه يخضع لافتراض يتمّ خلاله تجزئته أثناء دراسته، وفق مبادئ تحدّد سلفا ، فالوحدة اللغوية التي تتركب منها اللغة تأتي على نوعين : نوع يدلّ على المعنى ،و آخر يحدّد دور المعنى في التبليغ و الإفادة ، و يمكن أن يصنّف النوع الأول منهما إلى ثلاثة أقسام[36]:

- المعنى الوظيفي : ونقف عليه من خلال الوحدات اللغوية الثلاث : الوحدة الصوتية و الوحدة الصرفية أو الوحدة النحوية ، كتفريق حرف التاء بين كلمة " تاب " و الكلمات الأخرى التي تشترك معها في بقيّة الوحدات الصوتية " تاب / ذاب / قاب / راب /هاب / خاب /شاب ..." ، كما أنّ الصيغ الصرفية فيها تدّل على المبالغة " توّاب " أو اسم الفاعل " تائب "، ثمّ المواضع التي تشغلها الكلمة في التراكيب اللغوية ، فتكسبها معاني خاصة كالفاعليّة و المفعوليّة و غيرها .

- المعنى المعجمي : و هو معنى الوحدة اللغوية بمعزل عن السياق ، و مجموع المعاني الوظيفية الصوتية و الصرفية ، إضافة إلى المعنى اللغوي للجذر .

- المعنى السياقي : و هو معنى الكلمة في إطار سياق معيّن مفهوم ، و هو يتشكّل من مجموع المعاني الوظيفية والمعجمية ، و ما اكتسبته الوحدة اللغوية من معاني أخرى في سياقها اللغوي و غير اللغوي ، و هذا النوع من المعنى هو هدف الاستعمال اللغوي بين المرسِل و المرسل إليه.

و عليه يجب التنّبه لمثل هذه القضايا أثناء المعالجة الآلية للنصوص العربيّة.

1. 7 - رأي الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح في المعالجة الآلية :

يتطلب العلاج الآلي للنصوص حوارا جادّا بين المهندس و اللغوي ؛ لأنّ اللغوي خبير باللغة وخصائصها ، و المهندس خبير بالحاسوب و تقنياتها ، فلا بدّ من وجود عمل تكامليّ بينهما ، يتوّج في الأخير بعلاج آلي مثالي للنصوص ، يمكّن الباحث من سبرها ، و إنجاز دراسات متميّزة تكون هذه النصوص منطلقاتها ، و إذا غاب ذلك بينهما، فإنّه يؤدي إلى فقد حلقة مهمّة في البحوث العلمي، يقول الدكتور الحاج صالح، إنّ "الوضع الراهن الذي هو عليه العلاج الآلي للغات و خاصة اللغة العربية ، فالذي لاحظناه هو أن الحوار بين المهندسين و بين اللغويين صعب جدا بل قد يتعذر أحيانا ، وربما أدّى ذلك إلى أن يشتغل المهندس وحده مع ضآلة المعلومات العلمية التي لديه عن الظواهر اللغوية و العكس أيضا حاصل "[37] ، و لمّا رأى الدكتور ذلك ، اقترح " أن تنظم المؤسسات حصصا في مستوى الماجستير في النظريات اللسانية للمهندسين و في علوم العلاج الآلي للسانيين الذين يريدون أن يتخصصوا في هذا النوع من البحوث"[38]، وهو اقتراح - في الحقيقة – ذكيّ منه ؛ لأنّ ذلك سيجعل من اللغوي خبيرا بالحاسوب في الآن نفسه ، فيتيح له فرصا أكثر للتحكم في المعالجة .

كان هذا الأمر في البدايات الأولى للعلاج الآلي ، أمّا اليوم فقد ازدهرت الدراسات و البحوث العلميّة في اللسانيات الحاسوبية (الرتآبية كما يسميه الدكتور الحاج صالح) في البلاد العربيّة ، و كثر - إلى حد ما - الباحثون في هذا الميدان ، الذي يجمع بين علوم الحاسوب و علوم اللسان ، يقول الدكتور الحاج صالح متحدّثا عنه " هو ميدان علمي و تطبيقي واسع جدا كما هو معروف ، إذ يشمل التطبيقات الكثيرة كالترجمة الآلية والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية وتعليم اللغات بالحاسوب و العمل الوثائقي الآلي ، و تنطبق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية وغير ذلك كثير و هي من البحوث الطلائعية ، و فائدتها بالنسبة للعربية عظيمة جدا "[39]، و قد اقترح الدكتور الحاج صالح في هذا الشأن (مجال البحث ، أهمية النظرية المستند إليها ، نظرتنا إلى التراث) أن تراعى ثلاثة أمور – كان قد اقتنع بها - وهي[40] :

1- إنّ هذه البحوث تحتاج إلى أن يشترك فيها اختصاصيون ينتمون إلى آفاق علمية مختلفة فهي من قبيل البحوث التي يسميها العلماء اليوم Interdiciplinary Research

2- إنّ النظريات اللغوية الحديثة التي تنبثق من اللسانيات الحديثة غير كافية خصوصا و أنها استنبطت أهمها من التأمل في اللغات الأوروبية خاصة.

3- إنّ ما تركه النحاة العرب الأولون شيء عظيم ،و جدّ مفيد لا سيما بالنسبة للسانيات الحاسوبية التي تعتمد على الرياضيات و المنطق الرياضي .

من الآراء السديدة التي اهتدى إليها الدكتور الحاج صالح ، و التي تفيد العاملين على المعالجة الآلية للنصوص ، هو ضرورة اعتمادهم على نظرية لغوية عربيّة ؛ لأنّ الصياغة تمسّ بالدرجة الأولى النظرية اللغوية لا اللغة ، فالأولى مستنبطة من النظر في الثانية ، يقول الدكتور الحاج صالح "إنّ أول ما تستلزمه البحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية هو أن يعتمد أهل الاختصاص فيها على نظرية لغوية تستنبط من اللغة العربية لا من لغات أخرى غير العربية و لاسيما اللغات الأوروبية التي تغاير تماما في نظامها اللغة العربية ، وذلك لأسباب : الأول هو أن العلاج الآلي للغات جزء كبير منه ينحصر في الصياغة المنطقية الرياضية ، فكل بحث جار في الوقت الراهن في هذا النوع من العلاج الحاسوبي يرمي إلى ضبط أنجع نمط أو النموذج في الصياغة ، ومن المعلوم أن الذي يصاغ في الواقع ليس هو اللغة في ذاتها بل النظرية اللغوية المستنبطة من النظر فيها ، وقد ضبطت نماذج كثيرة لصياغة النظرية اللغوية الخاصة بالإنجليزية أو الروسية و غيرهما ، و يمكن أن ينظر فيها الباحث المتخصص في علاج العربيّة ليبحث فيها عما استخدم فيها من نماذج الصياغة و عما هو مشترك بين جميع اللغات إلا أنه لا ينفعه أن يطبّق هذه النماذج على اللغة العربية كما هي فهذا من محض التعسف"[41]، فنجاح أي مشروع هدفه معالجة النصوص آليا، مرهون بإعداد الباحث الكفء، و الذي يجب أن يكون ملمّا بالنظريات اللغوية قديمها وحديثها، و بأساليب الصياغة الرياضية للمعطيات اللغوية الحديثة ، و لا بدّ في هذا الشأن من اعتماد نظرية لغوية عامة و أفضلها تلك التي تستجيب لشروط الصياغة الرياضية ،و تملك القدرة على أن تستوعب خصائص العربيّة ، دون الاعتماد على نظرية غربية ، و هذا لا ينفي أن يؤخذ منها عنصر أو أكثر يراه الباحث خادما لمشروعه.

2. 7 - إلى أين وصلت المعالجة الآلية :

تسعى المعالجة الآلية في تطبيقاتها إلى تحقيق هدفين متزامنين ، هما دقة النتائج ، و تعميمها على الظاهرة اللغوية كلّها ، إلاّ أنّ نسبة تحقيق هذين الهدفين تختلف تبعا لاختلاف المستوى اللغوي المراد معالجته آليا ، فهي في المستويين الصوتي و الصرفي بلغت نسبت عالية تجاوزت (95%)[42] ، و ربما يمكن تفسير هذه النسبة لسهولة معالجة الوحدات الصوتية و الصرفية ، بناء على احتمالات محدّدة و قارّة لا تتغير، فالنظام الصوتي للعربيّة محدّد (عدد حروفها 29) و يمكن أن يعالج رياضيا بنظام الترتيبات ، و المستوى الصرفي (مستوى الكلمة المفردة) ، يمكن أيضا تحديد عدد الكلمات فيه و تواردها وفق نظام التوفيقات .

أمّا معالجة المستوى الدلالي آليا ، فلا تزال تخطو خطواتها الأولى ، و ذلك نظرا لارتباط هذا المستوى بالمعنى و صعوبة تحديده من جهة ، و تعقّد النماذج الرياضية المستخدم في ذلك من جهة أخرى.

8- علاقة الذخيرة العربية بالمعرفة اللسانية :

للمعرفة اللسانية علاقة وطيدة بالذخيرة العربية التي تتأسس على معطيات لسانية خليلية في البحث والوصف و التحليل كالتطرق للأصل والفرع و الوضع و الاستعمال و القياس ...إلخ.

و في تسليط الضوء على ما اشتمل عليه التراث العربي الواسع كما تبيّنه النصوص المكتوبة و في التركيز على المنجز الحداثي في شتى ميادين المعرفة ، و العمل على جعله ذخيرة عربية يتم استثمارها و توظيفها في البحوث العلمية والتربوية التي تمكن الباحث من النظر للعلوم، و إدراك مختلف السياقات التي وردت فيها المفاهيم والمصطلحات الخاصة بها ، و النظريات العلمية و معرفة نسبة الترابط المنطقي بينها، منطلقا من مكان ظهورها وتحديد معناها مع الإشارة إلى مرادفاتها و كذا مقابلاتها و مدى شيوعها ؛ لأنّ هذه المسائل أساسية في البحث العلمي و التربوي في بلادنا بل و في الوطن العربي كله ؛ لأنّ علماء اللسان المعاصرين و خاصة أهل التفسير والبلاغيين الأولين، يعتمدون على منهج التحليل الدلالي و لا سبيل إلى تحديد المقصود إلا بالرجوع إلى جميع السياقات التي ورد فيها العنصر اللغوي ، و لا يمكن أن يحصل الباحث على جميع سياقات المفردة إلا باللجوء إلى ذخيرة آلية ، إذ يرى المفكر الجزائري " محمد أركون " في هذا الشأن أن الإنتاج الثقافي العربي المعاصر يغيب عنه النظر الإبستيمولوجي ، حيث يقول : " فهناك إنتاجات من مستويات عدة و لكن النظر الإبستيمولوجي يقوم بالذات على النظر إلى ائتلاف في مختلف النشاطات التي يبلورها الفكر العربي المعاصر ، غير موجود ، من ثَمّ لا نستطيع قول شيء عن الإبستيمولوجيا العربية الكلاسيكية ، وبالمقدار نفسه لا نستطيع الحديث عن إبستيمولوجيا للفكر العربي المعاصر ... و بالمقابل فإن هناك انقطاعا كأن نجد عربيا حقق تقدما أو سبقا في ميدان الفيزياء مثلا أو ميدان السوسيولوجيا ، إنها نشاطات متقطعة في ممارسة الفكر العربي المعاصر ، و ما نجده مهيمنا هو خطاب من الطراز الإيديولوجي السياسي القتالي "[43].

و يرى في السياق نفسه المفكر المغربي محمد عابد الجابري : " عرف العرب رياضيات الإغريق و حساب الهنود و لكن معرفتنا نحن بما عرفوه ناقصة ، و لذلك لن نكون في إمكاننا تقديم صورة واضحة بقدر كاف عن المعرفة الرياضية و نوعية التفكير الرياضي عند العرب "[44].

في القولين نظر ، و دعوى غياب النظر الإبستمولوجي في النتاج العربيّ (مهما كان ميدانه) تفتقر إلى دليل ؛ لأنّ الذخيرة العربية – في تصور الدكتور الحاج صالح - ستكون مدوّنة نصية كبرى (كل ما أنتجه الفكر العربيّ) تمكّن الباحث العربيّ من الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية ، و لا يكتفي بما في القواميس و لا في كتب القواعد ، و أن يمسح هذا الواقع كما يشاء و يستقريه كما ورد في سياقاته الاستعمالية الأصلية و

مقاماته التبليغية و أحوال الخطاب ، و على هذه الصورة يمكن لأي باحث كفء أن يقدّم تأصيلا معرفيا لأيّ علم شاء (بما في ذلك مصطلحاته ، و مفاهيمه ...) ، أمّا في ما يخصّ المعرفة الرياضية ، فالمشروع كما اقترح الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح يجب أن يعتمد على نظرية لغوية ، و في هذا السياق أكدّ على أن تكون النظرية عربيّة خالصة مستنبطة من النظر العلمي في الأصول التراثية العربيّة .

إنّ إدراك مثل هذه المسائل المعرفية و المنهجية تستوجب ضرورة معرفة اللغة العربية معرفة علمية معمقة ودقيقة (= أي فقه اللغة العربيّة) من جميع جوانبها وأصولها التراثية، و كذا أحوال الخطاب و ظروف نشأة نصوصها و غير ذلك ، و هذا الأمر تتيحه الذخيرة العربية ؛ لأنّها ستشكّل منبعا موضوعيا و موثقا للمعاجم العربية بمختلف أنواعها خاصة ،و الدراسات اللغوية بمختلف فروعها عامة ، هذا المنبع الذي لا يستغني عنه أي باحث في اللغة ، بل و منبعا لكثير من الدراسات في مختلف العلوم (التاريخية ، الاجتماعية ، و تاريخ الأفكار ، و النظريات و غيرها).

خاتمة

بعد هذه الدراسة التى حاولت فيها أن أعرّف بمشروع الذخيرة العربيّة – الذي يعود الفضل فيه إلى الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح – وقفت على نتائج أهمّها:

- إنّ مشروع الذخيرة العربيّة - كما تصوّره الدكتور الحاج صالح – مشروع قوميّ عربيّ حضاريّ ، هدفه حصر كل النصوص العربيّة قديمها و حديثها ، مكتوبها و منطوقها (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر) ، و معالجتها آليا ، لتصبح بنكا آليا يحتوي على كل ما أنتجه الفكر العربيّ و ما ينتجه ، و جعله تحت تصرف أي فردٍ عربيّ في الوطن العربي و خارجه ، و كلّ هذا يشكّل مدوّنة لغوية تمثّل الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة ، وهي تمكّن أيّ باحث تحصيل أيّ أمر يريده ، بفضل العدد اللامتناهي من الأسئلة التي يطرحها على الذخيرة في أيّ زمن شاء.

- الجديد الذي يمكن للذخيرة اللغوية تحقيقه لأيّ باحث، هو معرفة معاني المفردات و تردد استعمالاتها و شيوعها أو عكس ذلك ، بفضل عدد السياقات - لكل مفردة من المفردات - التي يتيحها الحاسوب ، و هي تلك التي يكون قد جمعها من بين الملايين من النصوص المخزّنة في ذاكرته .

- لا بدّ للقائمين على إنجاز الذخيرة العربيّة من ذوي الاختصاص ، من أن يعتمدوا على نظرية لغوية عربيّة مستنبطة من اللغة العربيّة ، و أن يجتنبوا الاعتماد على النظريات الغربيّة إلاّ في الضرورة الملحّة ، و ذلك أثناء المعالجة الآلية للنصوص ؛ لأنّ جزءا كبيرا من هذه الأخيرة ينحصر في الصياغة الرياضية المنطقية .

- إنّ نجاح أي مشروع هدفه معالجة النصوص آليا ، مرهون بإعداد الباحث الكفء ، و الذي يجب أن يكون ملمّا بالنظريات اللغوية قديمها و حديثها ، و بأساليب الصياغة الرياضية للمعطيات اللغوية الحديثة ، و لا بدّ في هذا

الشأن من اعتماد نظرية لغوية عامة و أفضلها تلك التي تستجيب لشروط الصياغة الرياضية ،و تملك القدرة على أن تستوعب خصائص العربيّة .

- إنّ مشروع الذخيرة العربيّة مشروع جبّار ، و هو بالأهمية للعربيّة بمكان، و إنجازه يتطلب تضافر الجهود لضخامة العمل على أن يكون الإشراف عليه من أعلى مستوى.

الهوامش:

[1] براهامي منور ، حمداني محمد ، اللغة العربية في شبكة الأنترنيت : الواقع والآفاق، مجلة اللغة و الاتصال ، جامعة وهران ،الجزائر ، العدد3 ، ماي 2007 ، ص 12.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007، ج2، ص152.

[3] الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992، ص 44.

[4] ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت، دت ، ج 1 ، ص 33، و هناك تعريفات أخرى للغة لا تبتعد في مضمونها عمّا تصوّره ابن جني ، نذكر منها ، ما قاله ابن الأكفاني، فهي عنده " علم نقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة و ضبطها، و تمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه ، و تفصيل ما يدل على الذوات مما يدل على الأحداث ، و ما يدل على الأدوات ، و بيان ما يدل على أجناس الأشياء و أنواعها و أصنافها مما يدل على الأشخاص ، و بيان الألفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة و المتشابهة ، ومنفعته بهذه المعلومات خبرا، وطلاقة العبارة ، و التمكن من اليقين في الكلام ، و إيضاح المعاني بالألفاظ الفصيحة والأقوال البليغة " ينظر : ابن الأكفاني ، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم ، تحقيق: عبد المنعم أحمد عمر ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، ص 111. و ما قاله طاش كبرى زادة بأنّها " علم باحث في مدلولات جواهر المفردات و هيآتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي ، و عما حصل من تراكيب كل جوهر و هيآتها الجزئية على وجه جزئي ، و عن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي ، و موضوعه جواهر المفردات و هيآتها من حيث الدلالة على المعاني الجزئية و غايته الاحتراز عن الخطأ في المعاني الوضعية و الوقوف على ما يفهم من كلام العرب " ينظر : طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة و مصباح السيادة ، حققه : كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968 ، ج 1 ، ص 17. و قال عنها أندري مارتيني أنّها " أداة تبليغ يحصل بقياسها تحليل لما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة و أخرى ، و ينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي و صوت ملفوظ ، و هي العناصر الدالة على معنى ، و ينقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة متعاقبة و هي العناصر الصوتية ، و يكون عددها محصورا في كل لغة ، و تختلف هي أيضا من حيث ماهيتها و النسب القائمة بينها باختلاف اللغات " ينظر : أندري مارتني ، مبادئ في علم اللسانيات العام ، ترجمة : أحمد الحمو ، دار القلم ، دمشق ، 1985 ، ص 23 .و كلها تعريفات اتّسم غالبها ببيان ملامح المنهج العلمي ، الذي يراعى في دراسة اللغة .

[5] دي سوسير ، دروس في اللسانيات العامة ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ،2008 ، ص 24 .

[6] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربيّة ، ج2 ، ص157.

[7] المرجع نفسه ، ج2 ، ص148.

[8] ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربيّة ، ج1، ص409.

[9] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربيّة ، ج1، ص395.

[10] المرجع نفسه ، ج1، ص396. ينظر قرارات الندوة و توصياتها ص416. في المرجع نفسه .

[11] عبد الرحمن الحاج صالح ، مشروع الذخيرة العربية ،دراسة ، مجلة المجمع اللغوي الجزائري ، العدد 2 ، ديسمبر 2005 ، ص 288 .

[12] حسين محمد علي ، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم و تطبيقاتها ، ندوة القرآن الكريم و التقنيات المعاصرة ، المملكة العربيّة السعودية ، 2005، ص02.

[13] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1 ، ص 396 .

[14] المرجع نفسه ، ج1 ، ص396.

[15] المرجع نفسه ،ج1،ص 397.

[16] ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، ج2 ،ص153.

[17] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، ج2، ص153.

[18] المرجع نفسه ،ج2، ص154.

[19] ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص397.و ما بعدها.

[20] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص397.

[21] المرجع نفسه ،ج1، ص404.

[22] المرجع نفسه ،ج1، ص398.

[23] المرجع نفسه ،ج2، ص154.

[24] ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج2، ص154.

[25] عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1 ،ص399.

[26] المرجع نفسه ،ج1 ،ص400.

[27] المرجع نفسه ،ج2، ص155.

[28] ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص400.و ما بعدها

[29] ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1 ، ص408/404.

[30] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص405.

[31] المرجع نفسه ،ج1، ص406.

[32] حسين محمد علي ، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم و تطبيقاتها ، ص10.

[33] سمير شريف استيتية ، اللسانيات (المجال و الوظيفة و المنهج) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، الطبعة الثانية ، 2008،ص527.

[34] حسين محمد علي ، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم و تطبيقاتها ، ص10.

[35] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص84.

[36] ينظر : محمد أحمد حمّاد ، الغموض في الدلالة ، رسالة دكتوراه (مخطوط) ، مكتبة كلية دار العلوم ، القاهرة ،ص16، و ما بعدها .

[37] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1، ص84.

[38] المرجع نفسه ،ج1، ص84.

[39] المرجع نفسه ،ج1،ص231.

[40] ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج1،ص231.

[41] عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ،ج2، ص80.

[42] ينظر : حسين محمد علي ، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم و تطبيقاتها ، ص11.

[43] محمد أركون،التأمل الإبستيمولوجي غائب عن العرب ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، العددان ، 20 و21 ،1982 ص 84.

[44] محمد عابد الجابري ، تطور الفكر الرياضي و العقلانية المعاصرة ، بيروت ، دار الطليعة ، 1976 ، ص 57 .